مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 12 / العـــدد: 02 (2022)، ص 560-572

الأفعال التقريرية في قصيدة مفدي زكريا " تأذّن ربك..." نموذجا –دراسة تداولية–

The verbal acts in the poem of Mufdi Zakaria, \"God bless your soul ...\" as an example

ط.د. شيباني عبد الرحمن*
جامعة مولاي الطاهر- سعيدة
Chibaniabdo793@gmail.com

أ.د حميدات مسكجوب
جامعة مولاي الطاهر- سعيدة
hamidatmesk@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/04 تاريخ القبول: 2022/07/06

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إل تحليل الأفعال الكلامية التقريرية انطلاقا من نص شعري الوارد في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، والتركيز على إنجازية الأفعال المباشرة الصريحة والأفعال الإنجازية غير المباشرة المستلزمة مقاميا ضمن سياق القصيدة، والوقوف على مضامين التقريريات في النص الشعري في سياقات ومقامات متعددة وتمظهرات الأغراض الإنجازية وفق تقسيم سيرل.

الكلمات المفتاحية: التداولية – الأفعال الكلامية – الأفعال التقريرية – الأفعال الصريحة – الأفعال الضمنية.

Abstract:

This study seeks to analyze the verbal acts based on the poetic text contained in the iliad of algeria to mofdi zakaria and focus on the completion of direch actions explicit and indirect actions required indirectly withim the context of the poem and to identify the contents of the reports in the poetic text in multiple contexts and shrines and achievements «searl» division.

Keywords: deliberative - verbal verbs - declarative verbs - explicit verbs - implicit verbs.

1. مقدمة:

المنهج التداولي يعتمد على استراتيجية فعّالة لتحليل النّص الشعري الهادف إلى "الجمع بين المنهج البنائي الوصفي والمنهج التفسيري، لأنّنا نحتاج إلى تفسير الظواهر المختلفة أكثر من وصفها، وأنّ الوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتاريخ [1]، لأنّ الجنس الأدبي الذي نحن بصدد دراسته كبقية الأجناس الأدبية لا تتحقق فاعليته إلا بمبدأ التواصل بين الشاعر والمتلقي، وهما طرفا في العملية التخاطبية، فـ" الباث والمستقبل والجمهور والنّسق وشكل الخطاب والمقام والقناة والموضوع والغرض"[2]، هي عناصر أساسية في عملية التواصل.

* - شيباني عبد الرحمن: Chibaniabdo793@gmail.com

نبحث في هذا المقال عن ربط الملفوظات الشّعرية بمقاصد الشاعر من خلال أعمال الفيلسوف "سيرل j searle" الذي أتمّ مسار أستاذه "أوستين"، والذي تُنسب إليه نظرية الأفعال الكلامية، حيث عني باللغة وما يحيط بها من عناصر التواصل؛ فالتداولية تهتم بالمتكلم ومقاصده ووضعية المخاطب، والظروف الخارجية التي لها علاقة بعملية التواصل بغية تحقيق الهدف التواصلي.

تهتم التداولية بدراسة اللغة وأسرارها التي يخفيها النّص الشعري، ولهذا السبب ارتأينا أن ندرس قصيدة مفدي زكريا وعنوانها: "تأذن ربّك..." دراسة تداولية مستنبطين استعمال اللغة، وعملية التواصل، والبحث عن الفعل الكلامي الإنجازي في عبارات النّص بغية تأويل العبارات، لأنّ شعر مفدي زكريا خصب في هذه الدراسة، والأفعال الكلامية لديه هي أفعال لها معان ملازمة للعمل لا للأخبار فحسب.

الشاعر عاصر الثورة الجزائرية واكتوى بآلامها، لأجل ذلك حاولنا إبراز معاني تلك المعاناة الوطنية في هذه القصيدة من خلال مشهد صوّرته الثورة الجزائرية لنضال جليّ خاضه الشعب الجزائري.

2. مفهوم الفعل الكلامي:

هو مفهوم لا تستغني عنه التداولية، مضمونه الألفاظ ذات أفعال إنجازية دلالية تأثيرية، فهو نشاط نحوي إنجازي له تأثير، وله غايات تُرسل إلى المتلقي الذي يتأثّر فينجز الفعل الكلامي فعلا تأثيريا ويحدث أثرا في المتلقي، حيث "يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازيه actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والعيد...الخ)، وغايات تأثيرية actes illocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)"[3]. وقد ذكر "سيرل" في كتابه (كيف نصنع الأشياء بالكلمات): "إنّ قول شيء ما يعني فعل شيء ما أو أنّنا نفعل شيئا ما بقولنا شيئا ما"[4]، الفعل الكلامي ملفوظ يتأسس على منظومة دلالية إنجازية تأثيرية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية، وهو عنصر أساسي في التواصل الإنساني، ويقصد بالفعل الكلامي انجاز الفعل الذي يتلفّظه المتكلّم من أجل أغراض متعددة كالتّهنئة والوعد وغيرهما، ففي اللغة العربية نستعمل الفعل الكلامي في معاني الأساليب العربية المقصودة بالأساليب الخبرية والإنشائية في تراثنا العربي وألّا تبقى هذه المعاني مجرّد مضامين لغوية، بل تكون انجازات تواصلية في مواقف اجتماعية للتأثير في المتلقي، "فلا تكون اللغة مجرد للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية، أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية، وإنّما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه"[5].

3. ماهية الأفعال التقريرية:

1.3 التقريريات (assertives):

هي أفعال تلزم التلفظ والتعبير عن قضية ما بصدق، وترمي إلى تعهّد الباث بواقعية الشئ وحقيقته. وتدعى الإخبارية أو التمثيلية، فهي تصف حدثا معيّنا، وتحتمل الصدق والكذب، مثل: مثل أفعال التقرير والاستنتاج.

وهي أفعال لها غاية انجازية ينقل المتكلم حادثة فيعبّر عنها بأفعال تحمل الصدق أو الكذب من حيث مطابقة الواقع أو عدمه تجاه العالم الذي تنقل إليه أحداث القضية لغرض إنجازي يقصده المتكلم، فـ "الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبّر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصّنف كلّها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم"[6].

فإذا تحقّقت الحقائق وفق الواقع وحملت محمل الصدق تحقق معيار الإخلاص، ويكون إنجاز الفعل قد اتّسم بالنجاح وصار ذا معنى، لأنّ النقطة الإثباتية "هي أن نقدّم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم... وشرط الصدق في الإثباتيات هو دائما الاعتقاد"[7]، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة، والتّعبير الصادق عنها، وإذا تحقّقت الأمانة في النّقل فقد تحقّق شرط الإخلاص، وإذا تحقّق هذا الشرط أنجزت الأفعال انجازا ناجحا، وإلا أصبحت أخبارا لا معنى لها.

أما منهجية التحليل اقتضت مرحلتين متبعتين:

اخترنا القصيدة كنموذج للتعبير عن حدث تاريخي وهو غُرّة الثورة الجزائرية ألا وهو الفاتح من نوفمبر لإعطاء مسحة تقريرية عن بطولاته التي جعلت هذه الثورة لا يهدأ لها جفن، وذلك في عمل فنّي، فجعل الشاعر لنوفمبر صوتا، متغنّيا ببطولاته، واتّخذ في ذلك أسلوبا حماسيا يخاطب به العالم لِما تتضمّنه الأفعال الإخبارية من حماس وثبات.

نسعى في هذا المقال إلى تحليل قصيدة (تأذّن ربك ليلة قدر) للكشف الأفعال الإنجازية في النص وتأويلها، ومعرفة مقاصدها والعلاقة بين الأفعال الكلامية الصغرى، مع تحديد الروابط التداولية المساهمة في بناء القصيدة، والوقوف عند السّياق التواصلي في القصيدة الذي رسمه الشاعر الغيور على وطنه، والشعب الجزائري الملتف حول قضيته، مخاطبا العدو الفرنسي بنبرة عدائية.

نجد في هذه القصيدة أفعالا كلامية تقريرية شكّلت مجاز ا واصفا لأحداث أول نوفمبر، وحرّكت أفعالا كلامية غير مباشرة، كما حرّكت روح الانتقام من المحتل، بأغراض إنجازية تحدّدت في سعي الشاعر إلى وصف القتال والانتقام، فأخبر عن اندلا ع الثورة، ثم انتقل السياق الشّعري إلى الوصف الملحمي، وتابع الشاعر عرض

الأحداث المتمثلة في إباء الأسلحة المختلفة ورفضها للوجود الفرنسي على أرض الجزائر، والآن نعرض الأفعال الكلامية في القصيدة انطلاقا من سياقاتها لوصفها وتأويلها.

4. دراسة تطبيقية لقصيدة: " تأذن ربك ليلة قدر" تداوليا.

تـأذَّن ربُّك ليلـةَ قـــــــــدرِ وألقَى السِّتارا على ألفَ شهـــــرٍ
وقال له الـــرَّبُّ:أمـــــرُك ربِّـــي وقال له الرَّبُّ:أمـــرُك أمـــــرِي
ودانَ القِصاصُ فـــــــرنسا العجوز بما اجترحَت مِن خـــداعٍ ومكرِ
ولَعلَعَ صـــــــوتُ الرَّصاصِ يَـدوي فعَـــافَ اليراعُ خرافـاتِ حبـرِ
وتأبَى الـــمدافعُ صَـــوغَ الكـــــلا مِ إذا لم يكن من شواظٍ وجمـــرِ
وتأبَى القنابلُ طَبـــــــعَ الحـــرو فِ إذا لم تكن من سبائكَ حُمـرِ
وتأبَى الصَّفائحُ نَشـــــــرَ الصَّحائ ف ما لم تكن بالقراراتِ تســـرِي
ويأبَى الحديدُ استـمـــــاعَ الحديـ ـثِ إذا لم يكن من روائعَ شِعـرِي
نوفمبرُ غيَّرت مَجـــــــرى الحيـا ة وكنت نوفمـــــبرَ مَطلـع فجـرِ
وذكّرتنا في الـــــجزائـــرِ بـــدرًا فقُمنا نُضَـاهي صحـــابةَ بـــــدرِ

شغلنا الورى وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصـــــــلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر.[8]

في هذا المقال نسعى إلى الكشف عن استراتيجية الخطاب وقوانينه المتمثلة في الإخبار والشمول للأحداث والصّدق والإفادة؛ فالأخبار تخضع لكل الملفوظات الواردة في القصيدة من قِبل الشاعر ليعلم المخاطب ما يجهله، والشّمول هو أن يدلي الشاعر بحقائق ذات فائدة دون تستّر عن الحقيقة، والصدق يتجسّد فيما يقوله من حقيقة، أمّا الفائدة فإنّه يصف الملفوظات بأهمية الوصف للحقائق.

كما نركّز كذلك على متتاليات الأفعال الكلامية لما لها من علاقات تواصلية بين تراكيبها وجملها التي تعدّ أفعالا كبيرة وتتمثل هذه العلاقة في التأويل والتفسير، ويرى (فان ديك) أنّ "هذه الأفعال الكلامية الكبيرة مشتقة من متتاليات أفعال بواسطة قواعد كبيرة"[9] وإنّ المتتاليات الكبرى تتفرّع عنها متتاليات صغرى بشكل مرتّب تحكمها علاقات، وهذه العلاقات لها ارتباط بالتعليل والتفسير، ويقابل فان ديك البنية الكبرى بالبنية الصغرى "وفي هذا إشارة إلى مفهوم البنية الكبرى الشاملة للنص"[10]. فالمعلومات تعتمد على بُنى تداولية كبرى، فحينما

نتكلّم بمنطوق مايكون مأخوذ كلّه، والبنية الكبرى في النص هي الشاملة في الخطاب أساسها معاني جزئية للتراكيب.

استهل الشاعر قصيدته بإعلان وإذن من الله –عز وجل– للثّوار بالجهاد:

تأذّن ربُّك ليلة قدرِ وألقَى السِّتارا على ألفَ شهرِ

استخدم الشاعر الفعل الكلامي المباشر الإخباري (تأذن ربك ليلة قدر)، الذي يبغي من ورائه تحقيق فعل إنجازي متضمن في القول وهو تقرير حقيقة الجهاد، لأنّه إذن من الله. فلقد تضمّنت هذه الجملة إثباتا تقريريا، تثبت واقعا جليّا في أرض الجزائر، وقد تفرّع عن هذا الفعل الإنجازي فعلا آخر متضمّنا في القول وهو الترغيب في الجهاد، لأنْ يكون الثّوار على استعداد لخوض بدايات الثورة ، والتي مثّلها بليلة القدر في عظمتها وبلوغها العالم، هذا ما مكّن من تحقيق فعل التأثير بالقول وهو قيام المجاهدين بالثورة المسلحة، ممّا يجعل المتلقي يتأثر بثورة الجزائر بمجرد الإذن الإلهي، وذلك حسب المعتقد الديني والاجتماعي للشاعر من أجل تحريك دواليب الثورة وامتداد أمدها وصداه للعالم، وهذا التأثير الذي أحدثته الثورة الجزائرية قد تمكّن من نفوس المتلقين. وما يدلّ على الترغيب تشبيه ليلة أول نوفمبر بليلة القدر لعظمتها، وقد أدّى هذا التشبيه إلى المبالغة في الوصف للتأثير في المتلقين وزرع الحماس في النفوس، والتشبيه هنا يُحيل إلى حمولة الفعل الكلامي التي أضمرها الشاعر، إنّها قوة إنجازية تكشف عن قصد الشاعر من الفعل الإنجازي الحرفي.

وإنّ الفعل القضوي لهذه الجملة تضمّن فعلا إيحاليا يتركب من المتكلم وهو الشاعر الذي أبلغ بالإذن الإلهي لانطلاق الثورة في غرّتها، والمخاطب وهو المتلقي والمقصود في زمانه، ويقصد به كل متلقي عاش أحداث نوفمبر عن كثب أو عن نأيٍ يسمع صداها، والذي قادنا إلى هذا المتلقي هو السياق، ولذا فإنّ المعنى القضوي اقتضى: "التعبير عن قضية هو التحقيق لعمل قضوي، وبموجب ذلك تحقيق عمل متضمن في القول"[11] الذي ينتج عن سياق الخطاب انطلاقا من العوامل الاجتماعية والنفسية التي تُراعي أفعال الكلام الصادرة عن المتكلم وفق العمل المسبق والرّغبات والسياقات المتوالية، التي تساعد على نجاح الفعل النّصي.

أما المقام هنا هو مقام تحدّ الثورة للمستعمر، لأنّ الفعل الكلامي (تأذّن) هو وسيلة لغوية حرفية ملائمة لمقام الثورة لما يحمله من تجلّيات ثورية واصفة لحقائق تخلو من الزّيف والدّجل.

ولتعديل القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي استعان الشاعر بمؤشرات لغوية (تأذن) فعل ماض مزيد بحرفين التي تدلّ على المطاوعة بمجرد إعلان الجهاد، وهذا المقام هو مقام الجهاد، حيث قصد الشاعر مطابقة الحال للوضع

في سياق تداولي اعتقادي. وعبارة (ليلة قدر) للتعظيم من شأن ليلة أول نوفمبر، و(ألف شهر) التي تدلّ على أفضلية نوفمبر عن بقية الشهور والسّنين السابقة كأفضلية ليلة القدر على باقي الشهور.

وقال له الشّعبُ:أمرك ربّي وقال له الرَّبُّ:أمرُك أمرِي

إنّ الأفعال الكلامية (قال له الشعب)، (قال له الرب) أفعال إخبارية بصيغة حرفية مباشر ة تشير إلى فعل إنجازي غير مباشر هو تعظيم الشعب لنداء الله والانصياع لأمره، وابتهاج الإله باستجابة الشعب وتلبية أمر الرب للجهاد، وإنّ فعل التعظيم هنا يتأسّس وفق شروط الملاءمة عند "سيرل":

فشرط المحتوى القضوي دعوة للجهاد وقتال الكفار بكلّ إيمان وإخلاص، لأنّ الفعل الماضي خرج إلى هذه الدلالة، والشرط التمهيدي هو قدرة الشعب على الجهاد تحت ظل الوازع الديني، وشرط الإخلاص تأكّد المتلقين بإنجاز هذا الواجب الديني ألا وهو الجهاد، والشرط الأساسي القدرة المطلقة للإله في التأثير في المجاهدين والمخاطبين وبالتالي تحقيق إنجازية الفعل، فحدثت المطابقة بين العالم والمخاطبين، وبهذا تمّ التواصل الإبلاغي بتراكيب لغوية متداولة بين الرّبّ وعباده وتمّ حصول السلطة الإخبارية الملزمة بكل انصياع وانقياد. ولتقوية الفعل الكلامي استعان الشاعر بلفظ (أمرك ربي) للدلالة على الطاعة والتّصديق، و(أمرك أمري) للدلالة على مباركة صنيع الطاعة والقيام بواجب الجهاد الذي يجلّه الرّبّ.

إنّ فعل القول الإنجازي (قال) تضمّن فعلا قضويا تركّب من فعل الإحالة وفعل الإسناد؛ ففعل الإحالة هو الجهاد ضد الشر وروافده، لأنّ معتقد هذا الشعب امتداد لروح الإسلام الذي عظّم الجهاد لدحر الدخيل والظالم، كما تواصلت الإحالة في الشطر الثاني (قال) أبدى الشاعر إحالة هادفة للمخاطب في زمن الشاعر المعني بالخطاب وهي مباركة الله لاستجابة نداء الجهاد، وهذا هو القصد من فعل القول، حيث نجد هذا الخطاب التداولي "يتعلق بمختلف الشروط الاستراتيجية التي يقصد إليها المتكلم في عملية تخاطبية مع المؤول القارئ، والهدف منها هو مساعدة هذا الأخير وتوجيهه التوجيه الصحيح لفهم دلالة النص أو تأويله تأويلا يلائم سياقه التخاطبي"[12] ففعل الإسناد (قال) أسند إلى الشعب مرة، وأخرى إلى الرب ليبين مدى إلزامية الجهاد مهما كانت الظروف والأحوال، أمّا الفعل الإنجازي (المتضمن في القول) فهو تقرير حقيقة ربانية وهي اصطفاء الله عز وجل لهذا الشعب، لأنّه رأى فيه رغبة جامحة في تقبل الجهاد والقيام به، بحكم أنّ" العمل المتضمن في القول يوافق بالضرورة جملة تامة"[13].

ودانَ القصاصُ فرنسا العجوزُ بما اجترحت من خِداعٍ ومَكرِ

تضمّن الخطاب أفعالا كلامية مباشرة بالصيغة الحرفية (دان القصاص فرنسا)، (اجترحت من خداع) التي تسرد وتثبت جزاء العمل من جنسه، فالثورة الجزائرية كانت جزاء لفرنسا المستبدة بالشعب الجزائري، فأرّقتها هذه الثورة جزاء لجرائمها وخداعها وتلاعبها بهذا الشعب. ولهذه الأفعال قوة متضمنة في القول هي الوعد والوعيد، فكان جزاؤها تجرعها الألم الذي آلمت به الشعب الجزائري. كما تولّد عن هذا الفعل فعل كلامي حرفي آخر (فرنسا العجوز) المتضمن في فعل القول وهو التّحقير من شأنها، لأنّها وجدت نفسها في مفترق الطرق تبحث عن الخلاص لِما أجرمت، ثم الذّم لما اتصفت به من خداع ومكر، فمقام الخطاب هو مقام تعظيم للثورة الجزائرية، مقابل استصغار المحتل وذمّه، فنتج عن القول المتضمن في القول تأثير في المتلقين، والدارسين للتاريخ الجزائري والمؤرخين له وللعالم كلّه، والمدافعين عن القضية الجزائرية.

كما تدعّمت القوة الانجازية بمؤشرات لغوية كاسم الموصول المشترك (ما) الذي يعبّر عن اتّصاف المحتلّ بصفة بالجبن والخداع، وأثبت ذلك بحرف الجر (الباء) للدلالة على الإلصاق والنسبة بهذه الصفة، كما ساهم في تعديل القوة الإنجازية المتمثلة في تنكير الكلمتين (خداع، مكر) على الإطلاق دون فتور أو تقصير منه وفيما أقدم عليه.

فعل القول في البيت كلّه فعل قضوي يتركب من الفعل الإحالي وعناصره المكونة له؛ المتكلم هو الشاعر لأنّ سياق القول يخبرنا بذلك، فـ "هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنّه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة"[14]، والمخاطب هو العالم، لكن ظاهر القول لا يشير إليه، بل يحيلنا الشاعر لذلك بحكم الواقع، فالخطاب موجه إلى العرب وغير العرب، "ولهذا، فالقصد بوصفه المعنى هو المحور الرئيس الذي يتجلى في الاستراتيجية التلميحية"[15]، حيث ميّز "سيرل" في هذا الصدد بين الأفعال المباشرة التي تطابق قوتها إنجازية مقصود المتكلم، وبين الأفعال غير المباشرة التي تتطلب ضرب المجاز والتأويل والتلميح.

أمّا فعل الإسناد نقصد به المحمول وهو "فرنسا العجوز" وهو مسند، والقصاص مسند إليه، والجملة تحمل فعلا كلاميا صريحا تضمن فعلا في القول وهو العقاب الذي ينبئ عن تقرير حقيقة ارتكاب فرنسا جرائم في حق الجزائريين. وتتم هذه العملية التواصلية هنا بين الشاعر والمخاطب بفعل التأثير عندما قصد معيّنا، فيقبل المتلقي على الخطاب بدرجات متفاوتة، لأنّ "النص لا يصبح محققا إلا إذا قرىء في ظل شروط التّحقق التي يقدّمها النّص لقارئه الضمني"[16].

ولَعلَعَ صوتُ الرَّصاصِ يَدوي فعافَ اليراعُ خُرافاتِ حبرِ

الأفعال الكلامية المباشرة (لعلع صوت الرصاص)، (عاف اليراع) في صيغتها الحرفية أفعال كلامية مباشرة دلّت على فعل متضمن في القول وهو تعظيم اندلا ع الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر، والإخبار عن دويّ الرصاص في أنحاء الوطن، الذي أفحم وأخرس المحتل لانتهاجه سُبل التّقتيل مع اتخاذ نهج السياسة وإنشاء الأحزاب والجمعيات ليعرض الشعب عن قضيته. ولما كان القلم ناطقا بلسان حال الشعب عجز القلم والحبر عن الخلاص، فكان اللّجوء إلى الرصاص الحل والجزاء معا.

كما وظّف الشاعر "الاستعارة أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها"[17]، وإنّ الأفعال المركبة البسيطة لها قصدية كامنة في تبنّي الشاعر قصد التوجّه إلى المتلقي، ثم قصد الإيهام للمتلقي مع قوّة الإرادة التي ترمي إلى تحقيق القصد.

وضمّنها الأفعال الكلامية التي تحمل دلالة بلاغية وهي تجسيد الإصرار والإلحاح على الكفاح من أجل الثورة المباركة، فلغة الشاعر تنقل هذه الرسالة عبر الخطاب السردي لتحصر مضمون النص في تركيب تخيّلي مكوّن من ملفوظات تُحيل إلى موجودات مما يدفع الباث إلى إنجاز فعل تعبيري.

ومقصد الشاعر في البيت يختلف بين الفعل المباشر الإخباري الحرفي والفعل غير المباشر المتضمن في القول بحكم أنّ " الأفعال الإنجازية المباشرة تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أمّا الأفعال غير المباشرة فيه التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم"[18]. ولتدعيم القوة الإنجازية استعان بحرف العطف (الفاء) الذي أفاد التعقيب، حيث لم يستسغ الثوار توظيف القلم لجلاء المحتل فمجّوا السياسة وارتضوا بالكفاح المسلّح.

وتأبَى المدافـــعُ صَـــوغَ الكـــلا ... مِ إذا لم يكن مـــن شواظٍ وجَمـرِ

وتأبَى القنابـــلُ طبـــعَ الحـــــرو ... فِ إذا لم تكـن من سبائكَ حُمرِ

وتأبَى الصَّفائـحُ نَشـــرَ الصَّحائفِ ... ما لم تكن بالقـــراراتِ تســـرِي

ويأبَى الحديدُ استمـــاعَ الحـــديـ ... ـثِ إذا لم يكـن من روائعَ شعرِي

ينتقل الشاعر بخطابه إلى أفعال كلامية مباشرة وهي أفعال إنجازية حرفية للإخبار (تأبى المدافع صوغ الكلام)، (تأبى القنابل طبع الحروف)، (تأبى الصفائح نشر الصحائف)، (يأبى الحديد استماع الحديث)، فقد عبّر ت هذه الأفعال عن رفض المِدافع الكلام إلا إذا كان من قذائف ذات شواظ، وإباء القنابل الكتابة إلا إذا كانت قطعا تنثر أجساد الأعداء، والمطابع لا تطبع إلا كانت إعلانا للحرب بقرارات تنفيذية، والسلاح لا يُسمع إلا إذا ما كان شعرا ثوريا حماسيا بكل صدق وإخلاص. كما وظّف الشاعر أسلوب الشرط المكرّر (تأبى...إذا لم تكن...) ليُثبت صدق الجهاد وقوة الثورة، "فعندما نستعمل الشرط فإنّنا نثبت إلى حد ما وجود

علاقة بين الشرط وجوابه، لا يمكن أن تكون الجملة الشرطية صادقة إلا إذا كان الشرط وجوابه كلاهما صادقا أو كذب"[19]. فالجمل الشرطية صادقة في اللغة العادية، وهو استلزام مادي، لأنّ الشاعر يثبت قضية قيام الثورة في ليلة أول نوفمبر، وهو استدلال قوي، حيث تضمنت هذه الأفعال التقريرية فعلا كلاميا متضمنا في القول وهو إباء الثوار ورفضهم لكلّ ضيم وضائم، وهو فعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا حيث خرج الخبر إلى غرض ضمني، وقصد الشاعر من ذلك ترك العمل السياسي وقيام الثورة النوفمبرية بغية جلاء المحتل، وبهذا انتقل الشاعر من القوة الانجازية الحرفية مقاليا إلى القوة الإنجازية المسلزمة مقاميا .

كما ركّز الشاعر على ضمير الغائب الذي هو تعبير إحالي له علاقة بالفعل الكلامي، ليوضّحه حيث تقوم عباراته بربط العلاقة بين الشاعر والقارئ، لأنّ "وظيفة الإحالة إذن هي الإشارة لما سبق من ناحية والتعويض عنه بالضمير من ناحية أخرى"[20]، هذه الإحالة داخلية قبلية تحيل إلى داخل النص، فهي إحالة إلى المجاهدين والثوار.

استطاع الشاعر أنْ يبث الحياة في الماديات لتحميس النفوس بواسطة عملية التخييل بالاستعارة المتوالية في الأبيات (تأبى المدافع، تأبى القنابل، تأبى الصفائح، يأبى الحديد) وذلك لتوضيح المعنى وربط العلاقة بين الفعل الكلامي فالاستعارة التي "يدرك بها عادة معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة الحرفية"[21]، استعملها الشاعر كوسيلة لتوضيح الخبر وإعطائه تمثيلا في الواقع كما هو الحال للأفعال الكلامية المقصود منها تمثيل التواصل بين المتخاطبين.

نستنتج من هذا الكلام أنّ الشاعر أراد استعمال الاستراتيجية التلميحية لتحقيق الأفعال الكلامية من خلال استعمال الاستعارة المكنية بطريقة غير مباشرة بغية أن "يعبّر بها المتكلم عن القصد بما يغاير المعنى الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله"[22]، كي يعبّر عن واقع سياسي اجتماعي ثوري مُلِمًا بعُرف الجزائريين للعيش في مجتمع حر مسلم ثائر في وجه كل ظالم مستبد.

وكرّر من الفعل الكلامي (تأبى) أربعة مرات متوالية الذي هو فعل إنجازي مجازي شكّل أحداث القصيدة وساهم في انسجام النص وتماسك معانيه حيث "يرى **دومنيك** منقينو d. maingnenon أنّ سيرورة النص وتقدمه في عرض المعلومات يخضعان إلى ظاهرتين هامتين هما: التكرار، والتدرج"[23].

وذكّرتنا في الجزائرِ بدرا فقُمنا نُضاهي صحابةَ بدرِ

فالأفعال اللغوية (ذكرتنا في الجزائر)، (قمنا نضاهي) حدّد فيها الشاعر مقصدية وعرفا، لأنّها تحقّقت في وسط جماعة الجزائريين الثائرين الذين اشتركوا بلغة الإباء والرفض لتحقيق التواصل الاجتماعي الثوري، ولذا

"فالأفعال اللغوية ليست قصدية فحسب، بل عرفية أيضا"[24]، فالشاعر هنا يتواصل مع العالم الخارجي بصدق وإخلاص وفق حقيقة تشابه الثورة الجزائرية بغزوة بدر، والمجاهدين بالصحابة الكرام من حيث فعل الجهاد والتضحية والشهادة، فالشاعر هو باث مقيّد بهذه الأفعال الكلامية المستعملة بصورة عرفية، فهو شريك المتلقي في هذا الخطاب، حتما أنّه يعظّم هذه الثورة ممّا يجعل المتلقي يُقبل على فهم الرسالة واستيعابها.

يتضح أنّ الأفعال الكلامية لهذه القصيدة مكوّنة من جزئين؛ الجزء الأول إنجازي من حيث القيام والإعداد للثورة وإذكاء شعلتها، والجزء الثاني هو الفعل القضوي الذي يحتوي على مضمون الفعل اللغوي وهو القتال والاستماتة دون النكوص على الأعقاب. كما تنوّعت الأفعال الكلامية في القصيدة بين الأفعال الماضية والأفعال المضارعة كدليل على الحركة والحيويّة في التفاعل مع أحداث الثورة، فـ "تبدو أزمنة الأفعال بمثابة العناصر المعدلة للأفعال، إذ تمكّن من معرفة ما إذا كان الحدث الموصوف منقضيا، أو غير منقض أو بصدد الوقوع أو ماضيا...إلخ"[25]. حيث وردت الأفعال الماضية والمضارعة موظّفة في النص مناصفة؛ فالأفعال الماضية دلّت على التقرير، وقد وردت في صيغ مختلفة (تأذن، قال، ألقى، دان، لعلع، ذكرتنا، قمنا) للدلالة على الحركة والحيوية، وتقريرية أحداث الثورة وهي القوة متضمنة في القول.

أمّا الأفعال المضارعة فأفادت الحالية والسّيرورة، والألفاظ كلّها كانت لها قوة تعبيرية مؤثرة، إذ وردت أربع مرات في صورة واحدة (تأبى)، وثلاثة مرات في صورة واحدة (يكن) وهذه الأفعال أفادت الاستمرارية والاستقبال، لأنّ الأفعال القضوية المضارعة تعبّر عن حركية تبديها الثورة في حركية مستمرة للرصاص والمدافع والقنابل وصفائح الحديد المختلفة ردا على الظلم المسلّط على الشعب الجزائري.

إنّ الأفعال الكلامية في هذا النص هي أفعال متواليات لتحقيق أفعال كلامية كبرى وقد تنامت، مما ساعد على التأويل والتفسير، وتلاحق وفق بنيات كبرى تنطوي تحتها أفعال كلامية صغرى تسهم في تنامي النص وتحقيقه وقد حدث بينها تعالق تواصلي حيث "يقوم النص على أفعال كلامية مركبة وأفعال كلامية بسيطة، فالأفعال الكلامية المركبة ما تركبت وتوالت فيها مجموعة من الأفعال البسيطة، ذات القصد الكلي الواحد؛ والفعل الإنجازي البسيط هو ما أنتج وحقق أثرا واحدا لحال إنجاز واحدة"[26].

5. خاتمة:

بعد دراسة هذه القصيدة من إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، نخلص إلى:

- أن التداولية تستقرئ أفعال اللغة في هذا النص لتكشف عن مقاصدها وأفعالها الإنجازية غير المباشرة، إذ تجاوزت الأفعال الكلامية في القصيدة صيغتها المباشرة إلى المعنى المباشر من خلال الاستعانة بالقرائن اللغوية لتحقيق قصد معيّن.
- هذا الخطاب ثر بالحقائق الثورية التي كشف عنها سياق النص، وهي حقائق تقريرية، حيث تلوّنت القصيدة بألوان الملحمة التي أبدع الشاعر في إنجازية أفعالها بشعر عبر عن الواقع الحي، لأنّ لغة الكفاح حيّة أنطقت المحتل.
- عمد الشاعر في نصه إلى تقرير حقيقة تاريخية عن الثورة الجزائرية بهدف تبليغ المتلقي لها بغية التأثير والإقناع ليقوم المتلقي بتعديل موقفه وفق مقتضى الحال.

6. الهوامش:

[1]- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص96.

[2]- آن روبول موشلار جاك، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ط1، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2003، ص52.

[3]- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، لبنان، بيروت، 2005، ص40.

[4]- آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ص267.

[5]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005. ص11.

[6]- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ط1، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2006، ص217.

[7]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2002، ص78.

[8]- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، دراسة وشرح: الطاهر مريبعي، دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.

[9]- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ط1، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، 2012، ص107.

[10]- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص108.

[11]- جاك موشلار، آن روبول، القاموس الموسوعي التداولي، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص68.

[12]- بوشعيب شذاق، مقصدية العمل الأدبي بين التقيد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، الجزء 54، المجلد14، ديسمبر 2004، ص449.

[13]- جاك موشلار، آن روبول، القاموس الموسوعي التداولي، ص68.

[14]- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2004 ص45.

[15]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص198.

[16]- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص105.

[17]- طه عبدالرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص312.

[18]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص81.

[19]- آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دعفوس، محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ص125.

[20]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، 2000، ص38.

[21]– علي محمود الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2009، ص150.

[22]– عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص371.

[23]– كلاوس برينكر التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ط2، تر: سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2010، ص125.

[24]– محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، ص83.

[25]– آن روبل، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص174.

[26]– فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص239.

7. قائمة المراجع:

1. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ط1، (الدار البيضاء، المغرب: دار الثقافة).
2. آن روبول موشلار جاك، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ط1، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، (بيروت، لبنان: دار الطليعة، 2003).
3. آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني.
4. آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دعفوس، محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني.
5. بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ط1، (لندن: مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2012).
6. بوشعيب شذاق، مقصدية العمل الأدبي بين التقيد والانفتاح، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، الجزء 54، المجلد14، ديسمبر 2004.
7. جاك موشلار، آن روبول، القاموس الموسوعي التداولي، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، (تونس: المركز الوطني للترجمة، 2010).
8. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ط1، تر: سعيد الغانمي، (الجزائر العاصمة: منشورات الاختلاف، 2006).
9. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط1، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع 2000).
10. طه عبدالرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ط1، (الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، 1997).
11. عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية، ط1، (بنغازي، ليبيا: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004).
12. علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2000).

13.علي محمود الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ط1، (القاهرة، مصر: مكتبة الآداب، 2009).

14.فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبدالقادر قنيني، (المغرب: أفريقيا الشرق، 2000).

15.كلاوس برينكر التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ط2، تر: سعيد حسين بحيري، (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2010).

16.محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2002).

17.مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، (بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005).

18.مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، (لبنان، بيروت: دار الطليعة، 2005).

19.مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، دراسة وشرح: الطاهر مريبعي، (دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع، 2009).